الأبحاث

بقلم سامي الدروبي

مؤتمرنا الادبي الثالث

للدكتور سهيل ادريس

« اذن ، فقد كان اختيار موضوع المؤتمر « الادب والقومية العربية » بعيدا عن الاقتسار والاختلاق ، والحق ان الاحداث والتطورات في شتى ميادين الحياة كانت تفرض هذا الموضوع فرضا ، ولم يفعل الادباء اذ تطارحوه للبحث الا ان يستجيبوا لرسالتهم التي تنبع من اعماق ذواتهم ، وتتأبى على الفرض والابتسار . »

هذا ما قاله الدكتور سهيل ادريس في تقديمه للعدد الماضي من الاداب ، الذي وقفه كله او جله على المؤتمر الثالث للادباء العرب .

وهو قول حق . حتى لقد تساءلت غير مرة : أكان يمكن ان يختار الادباء لمؤتمرهم غير هذا الموضوع اذا كانوا يعيشون في الزمان ، ويستجيبون لرسالتهم ، ويتفاعلون مع الاحداث متأثرين ومؤثرين ؟

غير أن موضوع « الادب والقومية العربية » كثير الوجوه متعدد الجوانب ، واذا كان اختياره اطارا عاما لما يلقى في المؤتمر من احاديث ، ولما يدور فيه من مناقشات امرا يتفق وطبائع الاشياء ، ولا يشتمل على شيء من قسر او افتعال ، فان تقسيم هذا الاطار الى اربعة قطاعات « الشعر والقومية العربية »، و« النثر والقومية العربية »، و« النقد والقومية العربية » و« حماية الاديب والقومية العربية »، لا يراعي المفاصل العضوية في الموضوع ، ولا يفك عناصره الطبيعية فكا هينا لينا ، بل هو يكسره كسرا على نحو ما يفعل الحطاب . واذا كان جان بول سارتر قد فرق في محاضرة له عن « مسؤولية الكاتب » تفريقا حاسما بين الشعر والنثر من حيث المسؤولية الاجتماعية ، واذا كان قد ذهب الى ان الشعر لا يهدف الى شيء آخر غير تلك المزاوجة بين الالفاظ بالقوافي على جمال وغناء ، والى ان النثر الصق بمجرى الحياة تأثيرا وأعظم تبعة ، فذلك رأي خاص بجان بول سارتر قد يصدق على الشعر العربي ، لان للشعر في ادبنا العربي وفي امتنا العربية شأنا ليس له مثله في الاداب الاخرى وفي الامم الاخرى ، وهو يحمل من التبعات في حياة الامة العربية منذ أن كان الشاعر في الجاهلية لسان القبيلة ، الى يومنا هذا الذي يشهد وثبة شعرية تعكس وثبة الامة العربية وتغذيها وتذكيها في الوقت نفسه ما لا يحمله الشعر في حياة أية امة اخرى .

اذن لقد كان التفريق بين شعر ونثر ونقد في الحديث عن القومية العربية ، تفريقا مصطنعا ، ولا عجب بعد هذا ان رأينا جميع المحاضرين الذين نيط بهم امر الحديث عن « الشعر والقومية العربية » او عن « النثر والقومية العربية » ، او عن « النقد والقومية العربية » يتحدثون عن الادب عامة والقومية العربية .

ولو كان هدف هذا المؤتمر هو اعداد دراسات اكاديمية عن الدور الذي لعبه الادب العربي في حياة الامة العربية ، لغفرنا ذلك التوزيع المفتعل الذي يلاحظ في كل تقسيم مدرسي ، والذي يقصد الى تيسير الدراسة وتسهيل العرض . اما وأن المؤتمر قد انعقد لينتهي الى قرارات والى توصيات في شؤون بعينها من شؤون ادبنا العربي الحديث . فلقد كان ينبغي توزيع الموضوعات الفرعية توزيعا يجعل هذه الشؤون الخاصة هي مدار الحديث .

ولست أقيم نفسي مكتبا دائما لمؤتمر الادباء حتى أتولى في هذا الحديث السريع المهمة التي كان ينبغي ان ينهض بها المكتب الدائم من حيث تعيين البحوث الفرعية ، ولكن هناك عددا من المسائل كانت في خاطر معظم الادباء المشتركين في المؤتمر ، وكان ينتظر ان تثار وأن تناقش وان ينتهى فيها الى توصيات . من ذلك مثلا مشكلة العامية والفصحى في ادبنا الحديث ، وهي من اخطر المشكلات التي تثيرها العلاقة بين « الادب والقومية العربية » . ولئن حرص اكثر المؤتمرين على ان لا تدور المناقشات الا بالفصحى ، ولئن كان هذا كله يحمل معنى اقرار الفصحى وابعاد العامية فلقد كان ينبغي ان تفرد لهذه المسألة محاضرة برمتها تعرض لجوانبها المختلفة ، وتبسط ما للفصحى وما عليها ، وتنتهي الى رأي مدروس تدعمه الحجة .

ومن الموضوعات التي كان ينبغي ان تفرد لها محاضرات بكاملها ، وأن تكون عناوينها موحية بمضامينها محددة لخطتها وخطوطها ، موضوع الدور الذي قام به الادب العربي الحديث في معركة الامة العربية الراهنة ضد الاستعمار والاقطاع والتأخر ، والدور الذي يجب ان يقوم به .

ولقد تضمنت توصيات المؤتمر « رعاية حركة الترجمة وعونها المادي والادبي والمعنوي حتى تكون سبيلا لتعزيز النتاج الادبي وانمائه ، والتفاعل بين الادب العربي والاداب

العالميه » . فهل حدثنا احد من المحاضرين حديثا واعيا شاملا عن حاجة الادب العربي الى الاغتراف من مناهل الاداب العالمية ، وعن حدود هذه الحاجة،وعن ضرورةتنظيم حركة الترجمة على النحو الذي تشير اليه التوصية ؟...

ولست ادري بعد ذلك لماذا تشتمل التوصيات على عناية بالترجمة من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية ، ولا تشتمل على عناية بالترجمة من العربية الى غيرها من اللغات ، مع ان تعريف الاجانب بتراثنا العربي ، وبأدبنا المعاصر ، يسهم في رفع شأننا وفي لفت النظر الى نضالنا وفي اجتذاب العطف على حركتنا التحررية ... ومثل هذا تفعل جميع الامم التي تحررت من ربقة الاستعمار ، فاذا العالم يعرف ان لها ادبا كان الاستعمار يحرص على ان يظل مجهولا . أما كان ينبغي أن تفرد لهذا الموضوع محاضرة ، وأن ينتهى فيه الى توصية ؟ ام يظن المكتب الدائم أن مثل هذا الامر لا علاقة له بموضوع « الادب والقومية العربية » ؟!

ومن آيات الانفصال ايضا بين المحاضرات والمناقشات من جهة ، وبين التوصيات من جهة اخرى ان تشتمل التوصيات على العناية بأدب الاطفال ، بينما لم نسمع كلمة واحدة في هذا الموضوع على كثرة ما سمعنا من كلام ، رغم صلته الوثيقة بنهضتنا القومية العربية ، من حيث ان ادب الاطفال يسهم في تكوين الشخصية العربية ، ويمكن ان يرضع هؤلاء الاطفال حب القومية العربية ، وأن يعرفهم بأمتهم ، وأن ينمي فيهم سجاياها وأن يعلمهم الفداء والتضحية في سبيلها .

الحق أن اكثر التوصيات التي انتهى اليها المؤتمر ، او قل انتهت اليها لجنة الصياغة ، لا تمت الى المحاضرات التي ألقيت ونوقشت بكبير صلة .

ثم ان بعض الامور التي عولجت ونوقشت في المؤتمر لم تتعرض لها التوصيات من قريب ولا بعيد . من ذلك مثلا ان بعض الغلاة من القائلين بالادب الهادف قد حملوا عددا من المؤتمرين ، وعلى رأسهم الدكتور طه حسين على أن يطالبوهم بالتخفيف من غلوائهم ، وبأن « لا يضيقوا على انفسهم حيث وسع الله علينا » ، وان يصدقوا ان « كل من كتب فأحسن الكتابة ونفع قراءه من العرب ورفعهم من موطن الى موطن ، ومن مكان في المعرفة الى مكان آخر ، فهو يغذو القومية العربية » (الكلام للدكتور طه حسين ، ومن يراجع محاضر الجلسات يجد انه قد قوبل بتصفيق حاد)، ولكن التوصيات لم تشتمل على شيء يحمل هذا المعنى . ولقد قال الاستاذ محمود المسعدي كلاما من هذا القبيل ، أسميته في تعقيب قصير على حديثه بقولي : انه دعوة الى حماية الاديب من الاديب ، وطالبت بأن تشتمل توصيات المؤتمر على شيء من ذلك قائلا (النص منقول من محضر الجلسة) :

« سينتهي مؤتمرنا هذا الى مقررات والى توصيات ، وأغلب ظني أن هذه التوصيات ستضم اهابة بالادباء العرب شعراء وناثرين ونقدة ، ان يتحسسوا قضايا امتهم العربية، وان يذكوا صبوتها الى الحرية والوحدة والعدالة الاجتماعية والاخاء بين الشعوب والسلام في الارض ... وهذه اهابة نبيلة ما احسب اديبا من ادباء العرب يرفض ان يستجيب لها، بل ما أحسب ان هناك اديبا واحدا من ادباء العرب الا سمع نداءها في ذات نفسه ، فحتى اشد شعرائنا وادبائنا اغراقا في الذاتية ، واغراقا في الدفاع عن نظرية الفن للفن ، واغراقا في النفرة مما يسمونه بالادب الواعظ المبشر ، او الادب الداعية ، قد انتقلوا بأجنحة خيالهم وبجوانحهم وأفئدتهم الى بور سعيد ، وأحسوا جراحاتها جراحات في اكبادهم. وخاضوا المعركة بلهواتهم وأقلامهم مثلما خاضها غيرهم ببنادقهم . فقرأنا ابان المعركة شعرا قوميا لعله من احسن ما قالوا من شعر لا لان موضوعه يمس من نفوسنا اوتارا حساسة فحسب ، بل لانه بلغ في فنيته ذروة من الذرى .... »

« على انني وانا اصفق لتلك الاهابة المستجابة احب ان تضم توصيات المؤتمر اهابة اخرى ، اهابة بنفر معين من الادباء كأن صدرهم يضيق بكل ادب غير ادب النضال، ويعدونه لهوا بينما العدو على الابواب ، او يعدونه ترفا بينما الحاجة الى الخبز ... او يعدونه خطرا على الامة العربية لانه يصرفها عن قضاياها الحيوية ، ويشيع فيها الانحلال . فليت هذا الفريق من الادباء لا يضيق صدره بألوان من الادب غير التي يكتب ، ولا يسرف في الخوف على القومية العربية من قصيدة يغني بها شاعر درامة نفسه . ليتهم لا يشفقون على القومية العربية اشفاقهم على زجاج يوشك ان ينكسر متى مس ولو بوردة ، او اشفاقهم على شعلة ذابلة خاوية تهم ان تنطفىء متى هبت عليها نسمة طرية. فالقومية العربية أشد بأسا من ان يغيرها انصراف شاعر الى التأمل في قوس قزح . بل ان هذا كله لما يشد من ازر القومية العربية ، اذ يثري نفوس ابنائها ، ويفجر طاقاتهم ، ويرفعهم من موطن الى موطن في الثقافة كما قال الدكتور طه حسين. وقد تساءلت غير مرة اثناء كلام عدد من المتكلمين فوق هذا المنبر : ترى لو كان بيننا الان شاعر كعمر الخيام لا يزيد ان يغني الشك والقلق والانحلال والغيبوبة والعدم ، اما كان بعضنا يقوم له بالعصي وبالحجارة ، او بالالسنة الحداد والحلوق العراض في أقل تقدير . ومع ذلك ، ايها السيدات والسادة ، فان عمر الخيام شيء ثمين في القومية الفارسية، تزهو به على الدنيا ، كما يمكن ان نزهو نحن بشاعر كأبي نواس وأضرابه . »

وتساءلت في نهاية الكلمة : ترى هل تشتمل توصيات المؤتمر على اهابة ببعضنا ان لا يضيق ذرعا بغير ما يحب من ألوان القول ، وهل ننتهي الى ما انتهى اليه غيرنا من الامم، الصين الشعبية مثلا ، من ان الادب بستان يجب ان تنبت فيه جميع الازهار ؟

ولكن التوصيات لا تشير الى شيء من ذلك ، مع انه كان رغبة عدد كبير جدا من المؤتمرين .

كل هذا يوضح الانفصال بين المحاضرات والمناقشات من جهة ، وبين التوصيات من جهة اخرى ، والمفروض ان تنبع التوصيات من المناقشات . وما سبب هذا النقص الا سوء توزيع الموضوعات الفرعية .

ولئن كانت التوصيات تحظى بالقبول من جميع المؤتمرين على كل حال ، فما أظن ان جميع المحاضرات قد حظيت بمثل ذلك او بشيء منه .

وهنا أصل الى المأخذ الاساسي الثاني الذي آخذه على تنظيم المؤتمر واعداده . لقد ظن المكتب الدائم ان من الضروري ان تشترك وفود جميع الدول العربية في اعداد المحاضرات ، والرأي عندي ان توزيع المحاضرات على المحاضرين يجب ان لا يقوم على اساس الاقطار ، بل على اساس الكفايات الادبية والثقافية ، حتى ولو اقتضى ذلك ان يكون جميع المحاضرين من قطر واحد او عدد قليل من الاقطار ... وباب المناقشة بعد ذلك مفتوح على مصراعيه لمن يشاء من هنا ومن هناك .

ويقول الدكتور سهيل ادريس في تقديمه للعدد الماضي من الاداب : « واذا لم نستطع ان ندرج في هذا العدد جميع ما ألقي في مؤتمر الادباء من محاضرات ، فاننا قد نشرنا بالاضافة الى أهم المحاضرات تلخيصا وافيا لجميع وقائعه» . ترى هل اكتفى محرر «الاداب» بنشر بعض المحاضرات دون بعضها الاخر لضيق المجال ، ام لانه لا يرضى لمجلته ان تهبط الى مستوى بعض ما ألقي من خطب ؟ ولست ألوم من كان يترك القاعة اثناء انهماك الخطيب في القاء خطابه ... فبعض الناس لا يملك من القدرة على احتمال الهراء مثل ما يملك بعضهم الاخر .

ولا شك أن من اسباب ضعف بعض المحاضرات ان الذين عهد اليهم باعدادها لم يعرفوا انهم سيكونون في المتحدثين الا اثناء انعقاد المؤتمر ، فلا عجب ان تأتي احاديثهم فجة مبتسرة . وهذا مأخذ ثالث نأخذه على المكتب الدائم .

وقد رد الدكتور سهيل ادريس على من يتساءلون باخلاص او بخبث : هل كان المؤتمر ناجحا ؟ رد بقوله: «نحن نعتقد أن كل مؤتمر ادبي ناجح ، سواء أنفذت توصياته ام لم تنفذ » .

ونحن نوافق الكاتب كل الموافقة على أن نجاح امثال هذه المؤتمرات لا يقاس بمقدار ما تصيبه توصياته من نجاح في التنفيذ فحسب ، بل يقاس ايضا بمقدار ما يثير في نفوس المؤتمرين من مشكلات ، وبمقدار ما يشعرهم بأنهم افادوا منه ، وبمقدار ما يلهمهم ويحرضهم ويشيع فيهم الحرارة والايمان ... وما اظن أنني اجافي الحقيقة اذا قلت ان حظ المؤتمر لم يكن حظا كبيرا .

واذا كان من اهداف مثل هذا المؤتمر ايضا ان يتعارف الادباء ، وان تنعقد بينهم صلات الصداقة ، وان يتبادلوا الرأي في جو مضمخ بعطر المحبة ، فان المؤتمر الثالث لم يف بهذا الغرض كل الوفاء . وأغلب ظني ان عقده في مدينة « القاهرة » هو المسؤول عن ذلك ، فلقد كان الادباء لا يلتقون للحديث والمناقشة الا ساعتين وبعض ساعة في المساء ، اما فيما عدا ذلك من ساعات النهار والليل ، فلقد كانت المدينة الكبيرة تمتصهم وتشردهم : لقد فتنتهم عمتا جاءوا من اجله ، وأذهبتهم في رحابها وثناياها كل مذهب . ومن هذه الناحية استطيع ان اقول ان مؤتمر بلودان كان انجح من مؤتمر القاهرة ، فلقد قام الادباء هناك على قمة الجبل الجميل في مكان واحد ، لا يصل اليهم ما قد يذهلهم عن غايتهم من اصوات ، ولا يفترقون في صباح ولا مساء ولا ليل ، يستمعون في الصباح الى المحاضرات ، وينصبون على مناقشة المحاضرات عند الاصيل على هون من سعة الوقت وصفاء جو الشفق ، حتى اذا جاء الليل تجمعوا حلقات متنقلة العناصر نشيطة الحركة يتناشدون الشعر ، ويقص بعضهم على بعض ، ويناقش بعضهم بعضا ، ويقوم بينهم من اسباب التعارف والود ما هو هدف اساسي من اهداف امثال هذه المؤتمرات . وليت المؤتمر الثالث قد عقد في فندق بأسوان في هذا الفصل الجميل من فصول السنة هناك ، اذن لوفى بذلك الغرض وفاء اكمل .

وكلمة اخيرة تتصل بتشكيل الوفود . لقد ادرك جميع الناس أن هناك ادباء كان يجب ان تضمهم الوفود «الرسمية» ، وما ضمتهم ، وأن بين اعضاء هذه الوفود من ليس له من النشاط الادبي ما يؤهله لان يمثل بلده في المؤتمر . ولا احب ان اتعرض لجميع الوفود ، وحسبي ان اقول كلمة في الوفد السوري . لقد تساءلت وتساءل كثير من المؤتمرين : اين سليمان العيسى الشاعر الذي سيقول التاريخ انه كان شاعر القومية العربية في عصر ابنائها ؟ وأين امجد الطرابلسي ، وأين وصفي القرنفلي ، وأين نزار القباني وغيرهم من فحول شعراء سوريا ؟ ام هل يظن بعضهم ان الانسان يصبح اديبا بقرار وزاري ، بـ « فرمان » من السلطان ؟!

٢ ـ الادباء هم بناة القومية العربية

للدكتور طه حسين

الفكرة الاساسية التي يمكن ان تحمل شوارد المحاضرة على الالتقاء عندها ، هي ان الادب العربي الذي كان قبل الاسلام يجمع اشتات القبائل المتفرقة على صعيد الاحتفال بالشعر وذوقه وفهمه ، والذي وحد الامة العربية حول الاسلام بالقرآن العربي المبين ، والذي مكن للعرب ان يغزوا العالم لا بقوة السيف وحدها بل بقوة هذه اللغة العربية التي فرضت نفسها على العقول وأصبحت لغة العلم ولغة المخاطبة في كل ارض حلت بها ، ان هذا الادب نفسه هو الذي يجمع ابناء العروبة اليوم تحت راية القومية العربية رغم تباعد الاقطار واختلاف الوان الحكم وتفاوت درجات الثقافة ... وخليق بالادباء اذن ان يعدوا انفسهم بناة

القومية العربية منذ وعت ذاتها قبيل الاسلام ، الى أن بصرها الاسلام بحقيقتها والى ان سار بها الاسلام في مشرق الارض ومغربها ينشر النور والعلم والمحبة ، والى ان اخذت تستيقظ اليوم على نداء حقيقتها فيعرف العرب انهم امة واحدة ، ويناضلون من اجل تحررهم ووحدتهم وتقدمهم .

ولكن شوارد المحاضرة كانت تلتصق بهذا الخيط الذي ينظمها حينا، وتنفصل عنه احيانا حتى لكأنها نسيته فما تحفل به .

واذا كان الاعتراض على هذه الفكرة الاساسية لا يرد ببال احد ، فان الاعتراض على بعض الشوارد قد جال في كل خاطر . يقول الدكتور طه حسين : « ومن غريب الظواهر الادبية التي تلاحظونها في حياة هذه القومية الجديدة التي انشأها الاسلام ... ان الشعراء الذين استأثروا بالشعر وامتازوا فيه وأصبحوا هم السنة الامة العربية بمعناها الجديد ، **لم يكن منهم شاعر عربي خالص** .. كان بعضهم فارسيا ، وبعظهم نبطيا ، وبعضهم يونانيا ، ولم يكن منهم شاعر عربي خالص وانما كانوا **جميعا** من هذه الامم التي استعربت وأعربت عن شعورها القديم وعن عقولها القديمة وعن وجدانها القديم في الشعر ، الشعر العربي والعقل العربي والوجدان العربي » .

فهل صحيح أن **جميع** الشعراء الذين استأثروا بالشعر وامتازوا فيه كانوا من الفرس والنبط واليونان ؟ وهل نفهم من هذا ان ابا العلاء والمتنبي وغيرهما من الشعراء العرب لم يمتازوا في الشعر ولا يستحقون ان يعدوا في الشعراء؟

ولا سبيل ، بعد ، الى احصاء جميع الشوارد ، ولم شعثها، والتعليق عليها، ودفع بعضها، في هذه الكلمة العجلى .

٣ ـ رسالة القومية العربية
للاستاذ فؤاد الشايب

ليست هذه المقالة الجميلة محاضرة من المحاضرات التي القيت في المؤتمر ، وانما هي كلمة الوفد السوري القاها رئيسه الاستاذ فؤاد الشايب ، نستشف فيها روحه الفنانة، وثقافته الواسعة ، وفكره الجريء ، فنتحسر على الايام التي كان فيها هذا الاديب الموهوب صاحب قلم خصب ، قلم كالسيف او امضى ، وكقوس قزح او اجمل . قال الراوي: ان الاديب قد غرق بعد ذلك في اعمال وظيفته ، ولكنه يحس الان انه اوشك ان يفقد نفسه وأن يفقده الادب ، فعزم على ان يعود الى قلمه قبل فوات الاوان ... فقلنا : عسى ... وان فيما تحمله الظروف على كتابته من صفحات مشرقة من حين الى حين ليدل على ان الجذوة لم تنطفىء، وأن تحت الرماد نارا ، فما هي الا نفخة يسيرة ، فاذا الجمر يتوهج مرة اخرى .

٤ ـ واجبات الناقد في خدمة القومية العربية
للاستاذ رئيف خوري

تحدث الاستاذ رئيف خوري عن القومية العربية حديثه عن مذهب في القومية لا عن القومية العربية كواقع . وهذا ما اوقعه في التباسين اثنين اضطر الى دفع احدهما في هامش من هوامش مقالته ، واضطر الى توضيح الثاني اثناء المؤتمر ردا على اعتراض احد المعترضين . فأما الالتباس الاول فهو كلامه على قوميتين عربيتين ، احداهما تحررية تطورية والاخرى رجعية جامدة متحجرة . والحق ان هناك مذهبين يحاولان ان يتشبثا بالقومية العربية التي هي واقع حي ، احدهما لا يناسبها ولا ينبع من حاجاتها ولا يتجاوب مع انطلاقها ولا تستطيع ان تعترف له ببنوتها ، والاخر ينحدر من صلبها ويعبر عنها ويميل اتجاهها الى امام ويصور طاقات تفجرها المبدعة .

واما الالتباس الثاني فهو تصوره ان النقد الادبي الذي يخدم القومية العربية لا يمكن ان توضع قواعده وان تتضح مقاييسه قبل نشوء فلسفة عربية تسلط اضواؤها على جميع مشكلات الفكر الانساني : الاخلاق ، المعرفة ، الحق ، العدالة ، الموت ، القدر ، الخلود ، العزاء ، الالم ، الحب ، الحقد ، الجمال ، الدين ، الانسانية ، قيمة الشخص الانساني، حتى اذا نشأت تلك الفلسفة العربية ذات المعالم الواضحة والمواقف المحددة ، صار في وسع الناقد ان يقيم الاثار الفنية على اساس النظرية الفلسفية . وأعتقد ان في تصور الاستاذ رئيف الخوري كثيرا من البساطة في النظر الى الامور ، حتى ليتخيل أنه سيكون للامة العربية ميتافيزيقا واحدة ، وأن القومية العربية رهن بوجود هذه الميتافيزيقا الواحدة ، مع ان النفس العربية الغنية الجوانب الكثيرة الاتجاهات يمكن ان تفيض بألوان من المواقف المختلفة تجاه المشكلات التي عددها ، دون ان يغير ذلك وحدتها الحتمية ، ودون أن يجردها من شيء من مقوماتها .

وقد استعرض الاستاذ رئيف الخوري بعد ذلك عددا من الآراء التي « اصبحت تأخذ بها مناهج النقد الحديث عندنا» ففند هذه الاراء تفنيد استاذ قدير ألم بأطراف موضوعه، وعاش التجارب المتصلة به ، وتسلح لمعالجته بثقافة رصينة وفكر قوي . ولكننا نستطيع ان نأخذ عليه شيئا من عدم الدقة في عرض بعض الآراء التي تناولها بالمناقشة . من ذلك مثلا قوله ان هناك من النقاد من يذهب الى ان العمل الادبي عمل فني محض ، اي انه **لا اخلاقي** ، ويكاد سياق حديث الاستاذ رئيف يوهم بأن اولئك النقاد يدعون الى التحلل الاخلاقي في اللغة ، مع أن احدا لم يذهب الى شيء من ذلك ، وان وصف العمل الفني بأنه Amoral بمعنى انه لا شأن له بالاخلاق ، لا بمعنى انه مناف للاخلاق Immoral وشتان بين الامرين . فالعمل الادبي يمكن ان ننظر اليه من ناحيتين اثنتين ، ناحية فنية لا شأن لها بالاخلاق ننتهي بها الى الحكم عليه بأنه جميل او غير جميل بغض النظر عن اخلاقيته ، وناحية اخلاقية لا شأن لها بالفن ننتهي بها الى الحكم عليه بأنه نبيل او غير نبيل بغض النظر عن فنيته . ولا تعارض بين الناحيتين .

٥ ـ قضايا النقد الحديث
للدكتورة سهير قلماوي

الموضوع الذي كان ينبغي ان يدور حوله حديث الدكتورة سهير قلماوي هو «النقد والقومية العربية» . ونحاول ان نستخرج من الحديث خطوطه الكبرى او فكرته الموجهة ، فما نظفر الا بمجموعة مختلطة من الافكار والمعلومات

والملاحظات ، ألصق بعضها ببعض ، فليس بينها رابطة عفوية ، وليست تهدف الى تقرير رأي بعينه .

فهي تذكر ان الفلاسفة والمصلحين الدينيين والخلقيين والاجتماعيين والسياسيين قد حاولوا ان يملوا على الادب ما يجب ان يفعل ، ولكن الادب الحر لم يعبأ يوما بما يملي عليه.

وهي تذكر ان مفهوم القومية العربية قد اختلط بمفاهيم كثيرة ، مفهوم الاسلام ، مفهوم الوطن الجغرافي ، مفهوم الثقافة الاسلامية ، الخ..

وهي تقول ان الاديب العربي ، شاعرا كان او قاصا او ناقدا ، لم يحدد مفهوم القومية العربية ، وترجع ذلك الى هجوم النظريات الغربية الكثيرة على عقول مثقفينا ومحاولة تطبيق هذه النظريات قبل تفهمها ، فاذا نحن نتغنى ادبا انسانيا بينما الشرق رازح تحت أثقال كل ما هو انساني ، واذا نحن ننجرف في تيار رومانسي بينما لا شيء في الشرق الممزق المهذب يدعو الى التحليق في سماوات الحب والتعاطف الانساني .

وهي تذكر ان الذين دافعوا عن اللغة الفصحى اقاموا دفاعهم على اساس الدين لا على اساس الوحدة القومية .

وهي تلوم النقاد لانهم لم يبلوا بلاء حسنا في مناقشة نظرية تولستوي ! وتلوم شعراء المهجر على ان تجديدهم لم يقم على اساس من درس او فحص يمكنان من رسم الطريق وتشوف المستقبل .

وهي توضح بعد ذلك الاسباب التي ساعدت على نشوء القصة في الغرب ، ونشوء القصة في ادبنا ، وتلوم كتاب القصة على انهم لم يكتبوا في مأساة فلسطين .

ثم هي تشيد اخيرا بامكانيات الادب العربي الحديث ، وترحب بالمؤتمر الذي كان له فضل التلاقي الحبيب .

لقد حاولت ان اعرف ماذا تريد ان تقول الدكتورة قلماوي ، فلم أظفر بشيء ، وفوق كل ذي علم عليم .

٦ ـ النقد والقومية العربية

للدكتور عبد الستار الجواري

في مقالة الدكتور عبد الستار الجواري فكرة رائدة واتجاه واضح ، وهذا ما يفتقر اليه عدد كبير من المحاضرات التي القيت في المؤتمر . ولكن اذا كان لا يؤخذ على مقالته التفكك والاستطراد . فانه يؤخذ عليه فرط التمذهب الذي يؤدي بصاحبه الى قسر الوقائع قسرا على تأييد وجهة نظره ، وتحميلها اكثر مما تحتمل . ان الفكرة الاساسية التي تدور حولها ملاحظاته كلها هي ان خصائص الادب العربي القديم تعكس سجايا الامة العربية وفضائلها ، وأن الادب العربي قد دخلت عليه بعد ذلك اتجاهات لا تنبع من هذه السجايا وهذه الفضائل ، وانما هي انحرافات ارادها له الشعوبيون للقضاء على الروح العربية الاصيلة ، فاذا هو يصبح مرآة لهو وعبث بعد ان كان ديوان مآثر وسجل مفاخر .. وكان صراع بين الاتجاه الشعوبي المنحل ، وبين الخلق العربي النبيل ، في ميدان الادب ، انتهى الى غلبة الخير على الشر .

ويرى المحاضر أن القومية العربية تتعرض اليوم لمثل ذلك الصراع ، وان الادب العربي يستهدف اليوم من لون جديد تتمثل في استخفاف بعضهم بقيمة التراث العربي القديم ، وبدعوتهم الى الاغتراف من الثقافة الغربية على غير روية ، وبايثارهم العامية على الفصحى ، الخ . ولكن كما انتصر الحق على الباطل في الماضي ، فسينتصر عليه في المستقبل ، وسيخرج الادب العربي مرة اخرى محتفظا باصالته ، معبرا عن روح الامة العربية ، ممثلا صبوتها الى معاني الحق والخير ، مذكيا نضالها في سبيل تحقيق مثلها العليا.

فالدكتور الجواري يعرف اذن ماذا يريد ان يقول ، وقد عبر عما يريد ان يقوله تعبيرا لا مجال فيه للبس او ابهام . والحق ان كل تطرف يساعد على هذا الوضوح . ولكن الظرف المتمذهب يسهل انزلاق صاحبه الى اكراه الوقائع كما قلنا ، وهذا ما وقع فيه الدكتور الجواري ، والا فهل صحيح ان قواعد النقد الادبي التي وضعها امثال ابن قتيبة وابن سلام ثم المبرد كانت ردا واعيا على دعوة شعوبية بعينها ، وعلى اتجاه انحلالي بعينه ، وهل كان ظهور شعر اللهو والمجون محاولة مقصودة من جانب الشعوبية للقضاء على الروح العربية ، أم ان هناك عوامل خاصة حددت ظهوره وانتشاره على ذلك النطاق الواسع ؟ ثم هل يخلو هذا الشعر الذي يسفهه كله ، من قيمة انسانية ؟..

٧ ـ سياسة الكلمة في دولة التعبير

للدكتور سليم حيدر

هذه كلمة لبنان في الحفلة الافتتاحية للمؤتمر القاها رئيسه الدكتور سليم حيدر ، وهي عدا انها تمتاز بالروح الشاعرية ، قد وضعت النقاط فوق كثير من الحروف فيما اشتملت عليه من تساؤلات ذكية : « لماذا تكون اثارة الغرائز البهيمية فنا ، ويكون التعبير عن القيم الروحية والمثل العليا تبشيرا ؟ بل لماذا يكون وصف فرد او مأساة اسرة عملا فنيا ، ويمتنع عن الفن وصف مأساة امة بأسرها ؟ »

لئن كانت فنية الاثر الفني لا شأن لها بموضوعه بل بجمال الاداء فيه ، فقد تضيف اخلاقية الموضوع في الاثر

زوروا

مكتبة هاشم

شارع سوريا ـ بيروت ـ تلفون ٢٦٠٧٩

كتب ادبية ـ مدرسية ـ ادوات قرطاسية

مطبعة هاشم ـ شارع الاحدب ، بيروت تلفون ٣٩٠٦٢

مطبوعات تجارية ـ بطاقات للافراح

جمالا الى جماله . لئن كانت دمامة الموضوع في اللوحة لا تنتقص من الجمال الفني فيها ، فحري بجمال الموضوع ان لا ينتقص ، على الاقل ، من جمال اللوحة .

٨ ـ حماية الاديب والقومية العربية

للاستاذ محمود المسعدي

والاستاذ محمود المسعدي يعرف ماذا يريد ان يقول معرفة واضحة ، وقد تسلح لعرض آرائه بثقافة لا تتوافر لكثير من كتابنا . والمحاضرة جزءان : اولهما محاولة لتحديد مفهوم القومية العربية ، وانتهاء من هذه المحاولة الى ان « العناصر » التي تتألق منها القومية العربية هي التفاف العرب حول التراث الذي حملته اللغة العربية ، واشتراك في المصالح الاقتصادية والسياسية والمقتضيات الاجتماعية للبلاد العربية ، وما في قلوب العرب جميعا من ارادة مشتركة في ان يكون لهم وجود جماعي واحد . وما كان للاستاذ المسعدي ان يصدر محاضرته بهذا الجزء الذي استغرق نصفها تقريبا دون ان يكون من صلب الحديث عن «حماية الاديب والقومية العربية » لولا انه تصور ان عليه ان يحسم الجدل الكثير الذي قام حول تحديد مفهوم القومية العربية حين قصره بعضهم على وحدة المصالح الاقتصادية ، وحين ربطه بعضهم الآخر بالتراث الثقافي وحده ، وحين اراد له بعض ثالث ان يكون محض اشتراك طارىء في مكافحة الاستعمار ، الخ . ولا نحب ان نناقش الاستاذ المسعدي رأيه في « العناصر » التي تقوم بها القومية العربية ، اذا صح ان القومية العربية تتألف من « عناصر » تجمع له من هنا ومن هناك ، فهذا حديث يطول امره . ولكن لا بد لنا من انصاف الرجل من الهجوم الظالم الذي كان ضحيته في المؤتمر ، نتيجة لسوء الفهم مع خلوص النية لدى البعض ، ونتيجة للاغراض والتجني لدى البعض الاخر . فقد حسب بعضهم ان الاستاذ المسعدي يدعو الى استقلال الاديب العربي عن القومية العربية ، وانصرافه الى ما هو فوق ذلك من صنع للجمال او من استشراف على المعاني الانسانية ، فسألوه في غير رفق ولا لين : اذا كان هذا رأيك فلماذا جئت الى هذا المؤتمر وأنت تعرف أن موضوعه: « الادب والقومية العربية » ؟! وعندي ان ما قاله المحاضر لا يحتمل كل هذا الشطط في التأويل ، فكل ما هنالك انه اراد للاديب ان يكون« حرا »فيما تنصب عليه قريحته من موضوعات ، لا يحمل نفسه عليها حملا ، ولا يحمله احد عليها حملا ، فاذا « تفجرت قريحته تلقائيا بالقصيدة القومية الحماسية او بالمسرحية او القصة المجدة للقومية ولعظماء القومية » فقد قال ادبا صادقا يخدم القومية العربية خدمة مباشرة ، واذا انصرفت قريحته الى « غير الموضوعات السياسية من القومية العربية » فقد قال ادبا صادقا يخدم القومية العربية **ايضا خدمة غير مباشرة**، اذ « يغذي فكر ابناء الامة العربية ويزيد نظرتهم الى الوجود والى الحياة خصبا ووضوحا ، ويعزز امتياز الامة العربية بخصائصها الفذة ، ويفرض وجودها على التاريخ فرضا . » فهل في هذا ما يفهم منه انه يدعو الى انفصال الاديب العربي عن القومية العربية ، وابعاد نفسه عن قضاياها ؟

وفريق آخر اقام عليه النكير و قال :هذه نغمة وجودية . . وأشهد أنني ما رأيت في المحاضرة من اولها الى آخرها ما يشعر بأن الرجل ينتمي الى المذهب الوجودي من قريب او بعيد ، اللهم الا ان يكون بعض الالتقاء في النظر الى بعض مشكلة الحرية بينه وبين ما تذهب اليه الوجودية دليلا قاطعا على انه وجودي من اخمص قدميه الى قمة رأسه ! وهبه كذلك فأية مسبة في هذا ؟

٩ ـ الحرية في خدمة القومية العربية

للدكتور جودة الركابي

ما أظن احدا يستطيع ان ينكر ان مقالة الدكتور جودة الركابي تكاد تكون الوحيدة بين سائر المقالات في التزام الموضوع الذي عقد المؤتمر من اجل التحدث فيه والتناقش حوله والانتهاء من التحدث فيه والتناقش حوله الى قرارات وتوصيات ، اذ لم يغب عن باله لحظة انه لا يكتب محاضرة ما ، بل يكتب حديثا لمؤتمر يجب ان ينتهي الى قرارات وتوصيات بصدد ما يثيره من مشكلات . كل سطر من اسطر المقالة يدور حول الموضوع ويلتصق به ، ولا يرجع ذلك الى فقر فيما تشتمل عليه المقالة من ملاحظات وآراء بل يرجع الى وضوح فكري جعل الكثرة وحدة ، او قل جعل الكثرة شفافة فما تخفي وراء ركامها ما يترقرق فيها من وحدة . وليس يضير المقالة بعد ذلك أن تجيء عبارتها مجنحة ، وكأنها الشعر نضاره .

١٠ ـ الشعر تعبيرا ووظيفة في التراث العربي

للدكتور محيي الدين صابر

هاتان الصفحتان اللتان هما كل مقالة الدكتور محيي الدين صابر قد عرضتا لعدد كبير جدا من المشكلات التي تستحق كل منها ان يفرد لها مقال برمته ، ووراء كل جملة من جمل المقالة مطالعات واسعة وثقافة غنية . والذي يعنينا خاصة في هذا البحث الذي كان عنوانه في المؤتمر « الشعر والقومية العربية » ، ان الدكتور صابر قد استطاع ان يعبر تعبيرا ذكيا عن رأيه في ان الصراع بين نظرية الفن للفن والفن للمجتمع صراع مصطنع ، وأن المشكلة من اساسها مشكلة زائفة ، اي ليست بمشكلة اصلا . فهو يقول :«ليس في رأيي شيء من التناقض بين ما يدعيه أهل الفن للفن واهل الفن للمجتمع ، لاننا لو قدرنا ان الشعر يبدأ من الشاعر ، فالذي يتطور اساسا هو الشاعر لا الشعر ، فالشاعر اليوم كانسان في مجتمع متعدد العلاقات غير الانسان الشاعر في مجتمع بدائي محدود العلاقات » . واذا كان الدكتور صابر لم يستنفد كل ما يشتمل عليه ربط الشعر بالشاعر من فضح للاصطناع في كثير من

المشكلات التي يحتدم حولها الجدل ، واذا كان قد اكتفى من ذلك كله بالاشارة الى **تطور** الشعر ابتداء من الشاعر ، فلقد كان في وسعه ان يطل من هذا الافق الخصب على كثير من المسائل الاخرى ذات الصلة الوثيقة بما كان بسبيله من بحث في الشعر والقومية العربية . وأن يجعل ذلك منطلقه الى تبديد كثير من الشبهات .

١١ ـ لوحة الشعر العربي الحديث
للاستاذ ابراهيم العريض

كأني بالاستاذ ابراهيم العريض ، اذ عهد اليه بالحديث عن الشعر والقومية العربية ، قد ظن ان عليه ان يتحدث عن القومية موضوعا مستقلا ، وعن الشعر موضوعا مستقلا آخر . وقد أعفى الاستاذ العريض نفسه من الكلام عن القومية العربية ، لانها « ليست موضع الخلاف من ناحية واقعنا العربي » وأخذ يتكلم في الشعر ، فتساءل اولا : ما هو الادب ، وأجاب بقوله : هو مظهر من مظاهر احتفالنا بالحياة ، وبسط ما يعنيه بهذا التعريف . ثم وضع الشعر في موضعه من « دوحة الادب الكبرى » ، ثم بحث في الاسباب التي يرى انها جعلت الشعر ينحسر ويتقلص في عصرنا هذا ويترك بعض مكانه لالوان اخرى من الادب كالقصة وغيرها . ثم طرح مشكلة الشعر الحديث ، فأشاد ما اشاد به منه ، وعاب ما عابه فيه ، فتهيأ الى رأي وسط ، داعيا الله ان يقينا شر المقلدين .

قد يكون كل ما قاله الاستاذ العريض صحيحا ، ولكننا تساءلنا : هل كان هذا الموضوع الذي سئل ان يتحدث فيه؟

١٢ ـ وثبة التحرر في ادبنا الحديث
للاستاذ محمود تيمور

ما تعلق من مقالة الاستاذ محمود تيمور بموقف الاديب من قضايا مجتمعه ، وما تعلق منها بالتوفيق بين حرية الاديب وفكرة الالتزام ، يدل على ان كاتبنا الكبير يصدر عن تجربة عاناها ثم غذاها بطول التفكير فيها .

ولكن فاتحة المقالة التي يتحدث فيها عن صراع شهده مع ابناء جيله من المخضرمين من الادباء الذين يتعصبون للقومية العربية والادباء الذين يتنكرون لها ويثورون عليها ، تدل دلالة واضحة على انه يخلط خلطا فاحشا بين دعوة القومية العربية وبين نوع من التعصب الذميم والاكتفاء به والانتقاص من قيمة كل جديد يأتي من الغرب او ينبع في بلاد العرب نفسها . والحق ان القومية العربية ما ظهرت الدعوة اليها واضحة كل الوضوح الا على لسان كتاب ومفكرين تأثروا بالثقافة الغربية تأثرا عميقا وتجاوبوا مع ظهور القوميات في بلاد الغرب ابان القرن التاسع عشر تجاوبا قويا ، وليسوا ممن اوصدت نفوسهم دون التيارات الثقافية الحديثة .

فالصراع الذي قام حول القومية العربية لم يكن صراعا بين الادباء المحافظين والادباء المجددين كما يقول الاستاذ تيمور ، بل كان صراعا بين القومية العربية وبين دعوات اخرى كفكرة القومية الاقليمية ، او فكرة الرابطة الاسلامية ، او فكرة الاتجاه العالمي ، الخ .

ان مقالة الاستاذ تيمور تدل على انه عاش مع ابناء جيله من المخضرمين الصراع بين التعصب للقديم والتطلع الى الجديد في الادب ، وعلى انه شارك في هذه المعركة بفكره وعاطفته وكان له فيها موقف معتدل يحمد له ، ولكنه لم يعش الصراع الفكري الذي قام حول القومية العربية في امس بعيد وأمس قريب ، والذي لا نزال نسمع ترجع اصداءه الخافتة في بعض ما نقرأ ، وان يكن صوت القومية العربية هو الذي يغلب الان ، لانه صوت الحق ينتصر في قلوب كتاب العرب وعقولهم يوما بعد يوم .

١٣ ـ نكبة فلسطين في ادبنا القومي
للاستاذ كامل السوافيري

في مقالة الاستاذ كامل السوافيري حرارة هي الى حماسة المراهقين اقرب . وقد اعلن في مطلع مقالته انه يريد ان يبين دور « ادب الخطبة والمقالة والكتاب ! » في ايقاظ الوعي العربي القومي . ولكنه لم يزد على ان ذكر عددا كبيرا من اسماء الكتاب الذين عنوا بالقضية القومية كل العناية او بعض العناية ، مستشهدا بفقرة من مقال للاستاذ احمد حسن الزيات ، وبفقرة اخرى من مقال للاستاذ عمر الدسوقي .

لقد وعدنا مطلع مقالته بدراسة في « الادب القومي »، ولكن فقر المقالة يدل على أنه لم يتتبع هذا اللون من الادب، ولعله لم يتتبع الوان الاداب الاخرى ايضا ، حتى لكأن جماع ثقافته الادبية عدد من الاسماء بقيت له من بعض القراءات وعدد من العبارات وقعت من نفسه المتحمسة موقعا حسنا. وانما الاعمال بالنيات .

القاهرة — **سامي الدروبي**

صدر حديثا :

مجموعة قصص

بقلم

صباح محيي الدين

دار الآداب - بيروت